

الدرس 9 [شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة] للشيخ خالد الفليج

خالد الفليج

بسم الله والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وسيد المرسلين نبينا محمد عليه وعلى اله افضل الصلاة واتم التسليم. اما بعد اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين. قال ابن خزيمة باب اثبات السمع والرؤيا لله جل وعلا الذي هو كما وصف نفسه سميع بصير. ومن كان معبوده غير غير سميع بصير فهو كافر بالله السميع

بسيط يعبد غير الخالق البارئ الذي هو سميع بصير. قال الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء. قال عز في قصة مجادلة قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الاية قال ابو بكر قد كنت امليت في كتابي الظهار خبر عائشة

رضي الله عنها سبحان ربي وبحمده وسع سمعه الاصوات. ان المجادلة تشكو الى النبي صلى الله عليه وسلم فيخفى على بعض كلامها فانزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله. قال عز وجل ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم الاية

قد اعلمنا ربنا الخالق البارئ انه يسمع قول من كذب على الله وزعم ان الله ثقيل. فكذبهم فكذبهم الله في مقالات في مقالتهم تلك. رد الله او ذلك عليهم وخبر انه وخبر انه الغني وهم الفقراء. واخبر انه الغني وهم الفقراء واعلم عبادة واعلم عباده المؤمنين انه السميع البصير. صححه

عبادته هذي خطأ واعلم عباده المؤمنين انه السميع البصير. واعلم عباده المؤمنين انه السميع البصير فكذلك اخبر فكذلك خبر فكذلك خبر المؤمنين انه قد سمع قول المجادلة وتجاوز النبي صلى الله عليه وسلم والمجادلة و

وخبرت الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما انه يخفى عليها بعض كلام المجادلة. مع قريبها منها فسبحت خالقها الذي وسع الاصوات وقالت وقالت سبحان من وسع سمعه الاصوات. فسمع الله جل وعلا كلام المجادلة وهو فوق وهو فوق سبع سموات. مستو على عرشه

قد خفي بعض كلامه على من حضرها وقرأ وقرب منها. قال عز وجل لكليمه موسى واخيه ابن امه هارون يؤمنهما فرعون حين خاف ان يفرض عليهما او ان يطغى. انني معكما اسمع وارى. واعلم الرحمن جل وعلا انه سمع مخاطبة كليمه موسى واخيه هارون عليهما السلام

وما يجيبهما به فرعون واعلم انه يرى ما يكون من كل منهم. وقال جل وعلا سبحان الذي اسرى بعبد ليله من المسجد الحرام الى قوله السميع البصير. قال في سورة حميم المؤمن فاستعذ بالله انه هو السميع البصير واستقصاء ذكر قوله السميع البصير وسميع بصير يطول بذكر جميعه الكتاب. وقال عز وجل لكليمه موسى ولاخيه هارون صلوات الله عليهما كلا فاذها باياتنا انا معكم مستمعون. فاعلم جل وعلا

كلا. كلا فاذها باياتنا. انا معكم مستمعون فاعلم جل وعلا عباده المؤمنين انه كان يسمع ما يقول لكليمه موسى واخيه. وهذا من الجنس الذي اقول استماع الخالق ليس كاستماع المخلوق. قد امر الله

الله ايضا موسى عليه السلام ان يستمع لما يوحى فقال فاستمع لما يوحى. فلفظ الاستماعين واحد ومعناها مختلف. ان استماع الخالق غير المخلوقين عز ربنا وجل عن ان يشبهه شيء من خلقه. وجل عن ان يكون فعل احد من خلقه شبيها بفعله عز وجل. وقال الله عز وجل وقل اعملوا

فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون. وليس رؤية الله اعمال من اعمال وليس رؤية الله اعمال من ذكر عمل في هذه الاية. كرؤية رسول الله والمؤمنين. وان كان اسم الرؤية يقع على رؤية الله اعمالهم على رؤية

رسول الله رؤية المؤمنين قال ابو بكر وتدبروا ايها العلماء ومقتبسوا العلم مخاطبة خليل الرحمن اباه وتوبيخه اياه لعبادته من كان يعبد. تعقلوا بتوفيق خالقنا لو علا صحة مذهبنا وبطلان مذهب مخالفينا من الجهمية المعطلة. قال خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليه لابي له لما تعبد ما لا يسمع ولا

ولا يغني عنك شيئا. افليس من المحال يا ذوي الحجا ان يقول خليل الرحمن لابي له ازر. لما تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ويعيبه بعباده ما لا يسمع ولا يبصر ثم يدعوه الى عبادة من لا يسمع ولا يبصر كالاصنام التي هي من الموتان لا من الحيوان ايضا. فكيف يكون ربنا خالق البارئ السميع البصير. كما يصف هؤلاء هؤلاء الجهال المعطلة. عز ربنا وجل عن ان يكون غير سميع ولا بصير. فهو الاوثان والاصنام لا يسمع ولا يبصر. او كعابد الانعام. الم يسمعوا قول خالقنا وبارئنا؟ افانت تكون عليه وكيفا؟ ام تحسب

وان اكثرهم يسمعون او يعقلون انهم الا كالانعام الالية. فاعلمنا عز وجل ان من لا يسمع ولا يعقل كالانعام بل هم اضل سبيلا باب البيان من سنن النبي صلى الله عليه وسلم على تثبيت السمع والبصر لله موافقا لما يكون من كتاب ربنا اذ سننه صلى الله عليه وسلم اذا ثبت بنقل العدل عن العدل موصولا اليه لا تكون ابدا الا موافقة لكتاب الله. حاشا لله ان يكون شيء منها ابدا مخالفا لكتاب الله او لشيء منه فمن ادعى من الجهلة ان شيئا من سنن النبي صلى الله عليه وسلم اذا ثبت من جهة النقل مخالف لشيء من كتاب الله فانا الظامن بتثبيت صحة مذهبا على ما ابوح به منذ اكثر من اربعين سنة حدثنا احمد بن عبد الرحمن بن وهب قال حدثنا عني قال حدثني يونس ابن يزيد عن ابن شهاب قال حدثني عروة ابن الزبير ان عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم كان اشد من يوم من يوم احد هل اتى عليك يوم كان اشد من يوم احد

عليك يوم القيامة هل اتى عليك يوم كان اشد من يوم احد يشد عليك هل اتى عليك كيوم كان اشد عليك من يوم احد فقال لقد لقيت من لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ

نفسى على ابن عبيد بن عبيد بن ليل ابن عبيد ريم ابن عبيد كلال فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا بسحابة قد اظلمتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فنناداني فقال يا محمد ان الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال فنناداني ملك الجبال قال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتأمرني امرك لتأمرني امرك

وبما شئت ان شئت ان اطبق ان اطبق عليهم الاخشبين فعلت. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلايهم من يعبد من يعبد الله

ولا يشرك به شيئا حدثنا اسحاق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدثنا المعتمر قال سمعت ابي يقول حدثنا ابو عثمان عن ابي موسى حدثنا محمد بن بشار والحسين ابن الحسن وغيرهما

قال قال بن دار حدثنا وقال الحسين اخبرنا المرحوم العطار قال حدثنا ابو نعامه السعدي عن ابي عثمان النهدي عن ابي موسى الاشعري وهذا حديث مرحوم قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حديث ايش

مرحبا بك. وهذا حديث مرحوم وهذا حديث وهذا حديث مرحوم قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة في غزاة فلما اقبلنا فلما اقبلنا واشرفنا على المدينة كبرنا الى المرحوم العطار. اقول له

العطار وهذا حديث مرحوم قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فلما اقبلنا واشرفنا على المدينة كبر الناس تكبيرة رفعوا بها اصواتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم ليس باصم ولا غائب. وقال المعتمر في حديثه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم لا تدعون اصم ولا غائب

ايه بقى حدثنا سالم ابن جنادة قال حدثنا ابو معاوية قال حدثنا عاصم عن ابي عثمان عن ابي موسى فذكر الحديث وقال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس

انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا خرجت طرق هذا الخبر في كتاب الذكر والتسبيح. قال ابو بكر فاسمعوا يا ذوي الحجامة نقول في هذا الباب ونذكر بهت الجهمية ونذكر

الجهمية وزورهم. وجوبهم ما نقول في هذا الباب ونذكر بهت الجهمية وكذبهم على علماء اهل الآثار ورميهم خيار الخلق بعد الانبياء بما الله قد نزههم عنه وبرأهم منه بتزور الجهمية على علمائنا انهم مشبهة فاسمعوا ما اقول وابين من مذاهب علمائنا. تعلموا وتستيقظ وتستيقظ

قنوا بتوفيق خالقنا تعلم وتستيقظ بتوفيق خالقنا ان هؤلاء المعطلة يبهتون العلماء ويرمونهم بما الله نزههم عنه. نحن نقول لربنا لربنا قال عينا يبيصر بهما ما تحت الثرى وتحت الارض السابعة السفلى

وما في السماوات العلى وما بينهما من صغير وكبير لا يخفى على خالقنا خافية في السماوات السبع والاراضين السبع ولا مما بينهم ولا فوقهم ولا اسفل منهم لا يغيب عن بصره من ذلك شيء. يرى ما في جوف البحار ولججها كما يرى عرشه الذي هو مستو عليه. وبنو ادم وان كانت لهم عيون يبصرون

بها فانهم انما يرون ما قرب من ابصارهم مما لا حجاب ولا ستر بين المرء وبين ابصارهم. وما يبعد منهم وان كان يقع اسم القرب عليه في بعض الاحوال لان العرب التي خوطبن بلغتها قد تقول قرية قرية كذا منا قرية وبلدة كذا قريبة منا ومن بلدنا ومنزل فلان قريب منا وان كان بين البلدين وبين القريتين وبين وبين المنزلين فراسخ والبصير من بني ادم لا يدرك ببصره شخص اخر من بني ادم

وبينهما فرسخان فاكثر وكذلك لا يرى احد من الادميين ما تحت الارض اذا كان فوق المرء

من الارض والتراب قدر انملة او اقل منها بقدر ما يغطي بقدر ما يغطي ويواري الشيء وكذلك لا يدرك بصره اذا كان بينهما حجاب من حائط او ثوب صفيق او غيرها مما يستر الشيء عن عين الناظر فكيف يكون يا ذوي الحجاب مشبه

بها من يصف عين الله بما ذكرنا واعين بني ادم بما وصفنا. ونزيد شرحا وبيانا نقول عين الله عز وجل قديمة لم تزل باقية ولا لا يزال محكوم لها بالبقاء منفي عنها الهلاك والفناء وعيون بني ادم محدثة مخلوقة كانت عدما غير مكونة فكونها الله وخلق قال بكلامه الذي هو صفة من صفات ذاته. وقد قضى الله وقدر ان عيون بني ادم تصير الى بلاء عن قليل والله نسأل خير ذلك قد يعمي الله عيون كثير من الادميين فيذهب بابصارها قبل نزول قبل نزول المنايا بهم ولعل كثيرا من ابصار الادميين قد خالقنا عليها ايدان الارض حتى تأكلها وتفنيها بعد نزول المنية بهم. ثم ينشئها الله بعد فيصيبها ما قد ذكرنا قبل في ذكر الوجه فما الذي يشبه الى ذوي الحجة عين الله التي هي موصوفة بما ذكرنا عيون بني ادم التي وصفناها بعد ولست احسب لو قيل لبصير افة ببصره ولا علة بعينه ولا نقص بل هو عين اكحل بل هو عين اكحل اسود الحدق اسود الحدق شديد بياض العينين احبب الاشفاق عينك كعين فلان الذي هو صغير العين ازرق احمر بياض العينين قد تناثرت اشفاره وسقطت او كان اخفش عين ازرق احمر بياض شحمهما. يرى الموصوف الاول الشخص من بعيد ولا يرى الثاني مثل ذلك الشخص من قدر من قدر عشر ما يرى الاول لعله في بصره او نقص في عينه الا غضب من هذا الا غير الهالة سلام عليكم. الا غضب من هذا وانف منه فلعله يخرج الى القائل له ذلك الى المكروه من الشتم والاذى. ولست احسب عاقلا يسمع هذا المشبه هذا المشبه

تمام ولست احسب عاقلا يسمع هذا المشبه بعيني الاخر الا وهو يكذب هذا المشبه عين احدهما بعين الاخر ويرميه ويرميه بلعته والخبل والجنون ويقول له لو كنت عاقلا يجري عليك القلم لم تشبه بعيني احدهما بعيني الاخر. وان كانا جميعا تميان بصيرين اذ ليسا باعميين ويقال لكل واحد منهما عنان يبصر بهما فكيف لو قيل له عينك كعين الخنزير والقرد والدب والكلب او غيرها من السباع او هوام الارض والبهائم فتدبروا يا ذوي اللباب ابين بعيني ابين بعيني خالقنا الازلي الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وبين بعيني الانسان وبين بعيني الانسان من الفرقان اكثر او مما بين اعين بني ادم وبين عيون ما ذكرنا تعلموا تعلموا وتستيقنوا ان من سمي علماؤنا

مشبهة غير عالم غير عالم بلغة العرب ولا يفهم العلم. اذ لم يجز تشبيه اعين بني ادم بعيون المخلوقين. من السباع والبهائم والهوام والهوام وكلها لها عيون يبصرون بها. وعيون جميعهم محدثة مخلوقة. خلقها الله بعد ان كانت عدما وكلها تصير لا فناء وبلاء وغير جائز اسقاط اسم العيون والابصار عن شيء منها فكيف يحل لمسلم لو كانت الجهمية من المسلمين ان يرموا من يثبت عينا بالتشبيه فلو كان كل ما وقع عليه الاسم كان مشبها لم يقع عليه ذلك الاسم. لم يجز لم يجز قراءة كتاب الله ووجب محو كل اية بين الدفتين فيها ذكر نفس الله او عينه او يده ولوجب الكفر بكل ما في كتاب الله عز وجل من ذكر صفات الرب كما يجب الكفر بتشبيه الخالق بالمخلوق الا ان القوم جهلة لا يفهمون العلم ولا يحسنون لغة العرب فيضلون فيضلون والله نسأل والله نسأل نسال العصمة والتوفيق والرشاد في كل ما نقول وندعوا اليه. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه اجمعين. اما بعد هذا الباب يتعلق باثبات

باثبات السمع والرؤية لله عز وجل وقد مر بنا ان الله سبحانه وتعالى له عينان سبحانه وتعالى تليقان بجلاله سبحانه وتعالى وانه وقد ذكرنا الادلة على ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم ان ربكم ليس باعور وذلك ان الاعور هو من له عين واحدة. فاذا كان الله ليس باعور افاد له عينان وفي هذا الباب اراد ابن خزيمة رحمه الله تعالى ان يبين الادلة والنصوص الدالة على اثبات سمع الله عز وجل

واثبات السمع لله عز وجل مما اتفق عليه اهل السنة ووافقهم في ذلك ايضا بعض اهل الكلام كالاشاعرة والماتريدية فاثبتوا صفة السمع. وذلك ان مرجعهم في الاثبات للعقل وقالوا ان العقل لا يمانع من اثبات السمع لله عز وجل. وكذلك الرؤية الا انهم ينفون صفة العين فلاية الله عز وجل عين اما الجهمية والمعتزلة وغلاة الاشاعرة ايضا منهم من ينفي صفة السمع

وصفة الرؤية لله عز وجل. ذكر ابن خزيمة هنا قوله قال الذي هو كما وصف نفسه سميع بصير. ومن كان معبوده هنا من كان معبوده غير سميع ولا بصير فهو كافر بالله السميع البصير يعبدوا غير الخالق البارئ الذي هو السميع البصير. مراده رحمه الله تعالى انه يكفر من عطل الله عز وجل من صفة السمع والبصر. ومن قال ان الله لا يسمع ولا يبصر فانه كافر بالله عز وجل لانه كذب خبر ربنا سبحانه وتعالى فالله اخبر انه كان سميعا بصيرا وانه يسمع ويرى سبحانه وتعالى

من قال ان الله لا يسمع ولا يرى كفر باجماع اهل السنة وانما خالفوا في من تأول صفات السمع اثبت اللفظ وتأول المعنى فهم يقولون انه يسمع بمعنى انه خالق المسموعات ويرى انه خالق

وهذا تأويل وتحريف لنصوص الكتاب والسنة. ولذلك رد عليهم ابن خزيمة في هذا الفصل وذكر النصوص الدالة على سمع الله عز وجل فقال ابن ذلك قوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير. وقوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها قوله تعالى وذكر بعض النصوص الدالة ام يحسبون ان لا نسمع سرهم ونجواهم فاثبت انه يسمع سبحانه وتعالى. وعلى هذا اهل السنة

انه سبحانه وتعالى يسمع ويبصر ويرى وانه يسمع كل شيء ولا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء فيسمع دبيبا نملة النملة على الصخرة الصماء في الليلة الصماء يسمعها ربنا سبحانه وتعالى. بل يسمع ما هو دون ذلك. فكل متحرك وكل متكلم وكل من له حركة تسمع فالله يسمعها سبحانه وتعالى. فنثبت سمع الله عز وجل المحيط بكل مسموعات المحيط كل المسموعات ولا يخرج عن سمعه شيء من مخلوقاته سبحانه وتعالى وهذا كما ذكرت وبتوافق اهل السنة. ومعنى السبع وادراك المسموح هذا هو معنى السمع وهذا اللفظ يشترك بين الخالق والمخلوق يشترك بين الخالق والمخلوق عندما نقول انه يسمع اي انه يدرك المسموع وكذلك عندما نقول ربنا يسمع ان يدرك المسموع. الا ان الفرق بينهم والبون بينهما في حقيقة السمع. المخلوق سمعه يحاط بقدر ما يكون قريبا منه او ما او ما يحيط به سمعه. اما ربنا سبحانه وتعالى فسمعه لا نهاية له. يسمع يصنع كل شيء سبحانه وتعالى ولا يحيط احد من خلقه بسمعه سبحانه وتعالى. هذا هو الفرق من جهة من جهة حقيقة السمع لله عز وجل. اما كيفية الله عز وجل وكيف يسمع ربنا؟ فنقول ذلك علمه الى الله سبحانه وتعالى. فنقول نثبت السمع واما كيفية فنجعلها ولا نفيها نجهل الكيفية ولا نفيها بل يسمع الله بكيفية ولسمعه كيفية سبحانه وتعالى لكن لا نعلم كيفية سمعه سبحانه وتعالى ما اذن الله بشيء سمع الله لشئيه هذا معنى الاذن في حق الله عز وجل له ما اذن اي ما سمع الله لشئيه اذن بالنبي نتغنى بالقرآن من نبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن اي اسمع انصت وسمع بديية يتلو كتابه سبحانه وتعالى. واما من نفي صفة الله عز وجل قال تقتضي التجسيم وتقتضي المماثلة فهذا قول باطل فهذا قول باطل بل ربنا سبحانه وتعالى عاب على بني على اتباع موسى الذين العجل انه لا يسمع ولا يرى تعابهم كيف يعبدون لها ويدعون له اللوهية وهو لا يسمع ولا فهذا نقص نقص ومقام نقص لمن لا يسمع فكيف يوصف الله بانه لا يسمع ولا شك ان الذي لا يسمع اكمل من الذي لا يسمع فالذي لا يسمع شبه بالمعلومات والذي يسمع مشبه بالكاملات. وربنا له من ذلك الكمال المطلق سبحانه وتعالى. واما من يقول اننا اذا اثبتنا السمع اثبتنا التجسيم والمثلية فهذا قول باطل. فكما نثبت لله ذاتا ووجودا يثبته الجهمية ايضا. فان الوجود ايضا لفظ مشترك بين المخلوق والمخلوق مع ذلك قلتم ان وجوده وجود يليق فكذلك نقول في جميع صفات الله ان الباب باب واحد فكل ما قيل في الذات يقال ايضا يقال قالوا ايضا في الصفات فنقول سمع الله ليس كسمع البشر وبصره ليس كبصر البشر ورؤيته ليست كرؤية البشر. فما يقال في الذات يقال وايضا في الصفات وهذا باب يطرد في اسماء الله وفي صفات الله سبحانه وتعالى لان الجهمي ومن وافقهم ينفون صفة السمع بزعم انها حوادث وانها اعراض والله منزع الحوادث والاعراض وانها من من من علامات الاجسام وهذا من آ كلامه الباطل ومن اه اصولهم الفاسدة التي بنوا عليها قد عطلوا ربنا من اسمائه ومن صفاته. ثم ذكر هنا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبدته الى قوله السميع البصير. والنصوص في اثبات سمع الله وبصره في كتاب الله كثيرة كثيرة جدا. كما قال تعالى في قصة موسى فاني انا معكم انا معكم مستمعون انا معكم مستمعون وكذلك فاستمع لما يوحى فهنا اثبت سمع الله واثبت سمعه موسى عليه السلام قال ابو بكر هدى لفظ الاجتماعي لواحد ومعناه مختلف لان استماع الخلق غير استماع المخلوقين عز ربنا وجل ان يشابهه شيء من خلقه وجل ان يكون فعلا احد من خلقه شبيها بفعله. هذا من باب حقائق المعاني. الاسماء المشتركة والالفاظ المشتركة قد تشترك في اللفظ لكنها تتباين وتختلف من جهة المعنى وان كان اصل المعنى الذي هو معنى السمع ومعنى البصر ولفظ مشترك ايضا فان السمع في حق الله وادراك المسموعات والسمع في حق المخلوق ايضا ادراك المسموع الا انه من جهة الحقيقة والكمال بينه من البون الشئ العظيم الذي لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى فنحن نثبت الحقائق والمعاني ونفوض الكيفيات فلا نعلم كيفية سمعه لاننا لم نرى ربنا سبحانه وتعالى فنكيف سمعه وبصره ورؤيته سبحانه وتعالى. ولا يحيط احد من خلق الله عز وجل باسماء الله وصفاته سبحانه وتعالى. فهنا يقول اه وقل اعلموا فسيروا الله عملك ورسوله والمؤمنون اثبت ان الله يرى والرسول يرى والمؤمنين يرون ايضا وليست وليست رؤية المؤمنين ورؤية الرسول كرؤية الله عز وجل وان كان الاشتراك موجود في مسألة انهم انه يرى ويبصر المبصرات. الا ان حقيقة الرؤية من جهة كمالها وحقيقة معناها تتفاوت فالمخلوق لا يرى الا ما يقع عليه بصره مما لا يكون بينه وبينه حائل. وكذلك المؤمنون اما ربنا سبحانه وتعالى فيرى ما بعد كما انقرب ويرى القريب والبعيد سواء ولا يحجبه شيء عن شيء سبحانه لا تحجبه السماوات ولا تحجبه الاراء ولا تحجبه يعرضون بل يرى كل شيء لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ثم ساق الادلة الدالة على هذا المقال وتدبروا ايها العلماء ومقتبسوا العلم مخاطبة الخليل مخاطبة الرحمن اباه وتوبيخه اياه لعبادته بنكار يعبد تعقلوا بتوفيق الله بتوفيق خالقنا جل وعلا صحة مذهبنا وبطلان مذهب مخالفينا للجهل والمعطي وهذا كما ذكرت هو محل اجماع اهل السنة وقد

توافق عليه النقل والعقل ودلت عليه فطرته ايضا في اثبات ما اثبته الله لنفسه واثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر ايضا اما الذي لا يسمع انه مشبه بالعدم وان الذي يعبد من لا يسمع ولا يبصر كأنما عبد وثنى الله سبحانه وتعالى عاب على عاب على اه آق قوم موسى يعبد ما لا يسمع ولا يرى وكذلك ابراهيم عاب على على آق على الهتهم التي عبدوا من دون الله انها لا تسمع ولا ترى فهذا كله يدل على ان الله متصل بصلة السمع وصلة البصر سبحانه وتعالى ثم ذكر ما يدل على السنة وهنا قعد ابن خزيمة قاعدة في باب الاسماء في باب النقل وفي باب النصوص التي ترد الينا من كتاب الله ومن سنة رسولنا صلى الله عليه وسلم ان ما صح نقله عن رسولنا صلى الله عليه وسلم

فانه لا يمكن ان يعارض نسا من كتاب الله ابدأ. بل قال رحمه الله تعالى لا يوجد او لا يمكن يوجد الصيد صحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعارضان ابدأ. فقعد في ذلك انه ان كان هناك تعارض فاما من ضعف احد النقلين او من من ضعف احد النقلين. اما ان يكون النقل كله صحيح فلا يمكن ان يتعارض ابدأ. وذكر ايضا ان العقل والنقل لا يتعارضان فان اما ان يكون العقل غير صريح واما ان يكون النقل غير صحيح. اما اذا صح العقل اذا صح النقل وكان العقل سليما فلا يمكن ان يتعارض ابدأ

ذلك كلام ربنا وكلام رسولنا صلى الله عليه وسلم لا يتعارضان البتة لانهما لان النبي صلى الله عليه وسلم تبع في تشريعه وتبع في لله سبحانه وتعالى فلا يقل ما قل ما الا ما اوحاه الله اليه وكلامه وقوله وعمله كله صادر عن تشريع رب العالمين سبحانه وتعالى. ذكر حديث عائشة رضي الله تعالى عنها في قصة المجادة جاءت تجادل زوجها في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. والحديث اخرجه البخاري معلق وصل اهل السنة باسناد صحيح وفيه ان عائشة يقول جاءت المجادلة تجادل زوجها وان بيني وبينها ستر واني اسمع بعض كلامها اسمع بعض كلامها ويغيب علي اكثره فانزل الله قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك. فالله سمع من فوق سبع سماوات سبحانه وتعالى والله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور سبحانه

وتعالى. فقد قالت عائشة سبحان الذي وسع سمعه السماوات والارض. وسع سمعه ايضا كل شيء سبحانه وتعالى ثم ذكر ايضا حديث عروة بن الزبير عائشة رضي الله تعالى في قصة خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة هائبا على وجهه لما طرده قومه اخرجوه يقول فذهب الى الطائف

هو زيد ثابت فاصيب من البلاء ما اصيب يقول فما افقت بعد ان اوديت من اهل الطائف الا بقبل الثعالب. فاذا بملك الجبال قد نزل بعدها السلام فقال فسلم جبريل عليه السلام وقال يا محمد هذا ملك الجبال يستأذنك ان تأمر بما شئت ان تأمره بما شئت قال وقفك فسلم الجبال وقال ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين اي الجبلين فقال لكني ارجو ان يخرج الله من اصلاهم بل يعبد الله سبحانه وتعالى قالت عائشة فقلت يا رسول الله هل اتى عليك يوم كان اشد من يوم احد وذاك ان يوم احد كان يوم عظيم على رسوله صلى الله عليه وسلم كسرت فيه رباعيته وشج فيه رأسه صلى الله عليه وسلم وسقط في حفرة صلى الله عليه وسلم ودخل الحديد البغض في وجهته صلى الله عليه وسلم فاصاب لاء عظيم وقتل من اصحابه سبعون رجلا من اصحابه صلى الله عليه وسلم قال نعم فذكر ما اصابه ما اصابه اشد ما لقي يوم العقبة اذ عرضت نفسي على على ابن عبدي الين حتى قال ابن

ما وجد الله غيرك حتى يبعثه سخرية واستهزاء به. يقول ما وجد الله الا ان يبعثك انت وقال الاخر ان كنت رسولا فانت اجل في عيني واذا كنت كاذبا فانا اجل نفسي ان اخاطبك كان يسخرون يستهزئون به صلى الله عليه وسلم ابن عبدي ابن عبد كلان فلم يجبني اذا ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي

تائبا صلى الله عليه وسلم خارجا لا يدري اين يذهب قد خرج وقد طرده قومه وقد طرده وقد اذاه اهل الطائف فهو لا يدري اين يذهب فما استفاق الا يقول فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا بسحابة قد اظلنتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فدا داري فقال يا محمد ان الله عز وجل ان الله عز وجل قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث الله ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال فننادني ملك الجبال فسل ثم قال يا عند الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتأمرني امرك وبما شئت ان شئت اطبق على اقسام فعلت فعلت فقال بل ارجو ان يخرج الله من اصلاهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا. في هذا المقام الذي اخرج هذا الحديث اخرجه البخاري في صحيحه وكذلك مسلم رحمه الله تعالى في صحيحهما وفيه ان الله سمع قول قريش وقول اهل ثقيف لمحمد صلى الله عليه وسلم وما اصاب من قومه من الاذى العظيم حتى ان رسولنا صلى الله عليه وسلم خرج هائما لا يدري اين يذهب

فانزل الله عليه جبريل عليه السلام يخبره بان الله سمع قول قومه وما ردوا عليه ثم خيره بين ان يسخر ملك الجبال فيطبق على الاخشبين او ان يؤخر بقاء بالارجو ان يخرج الله من اصلاهم فليعبدوا الله وهذا دليل على عظم

رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعة خلقه صلى الله عليه وسلم والا لو كان غيره لقال اطبق عليهم الاخشاب فقد اذوني وقد اخرجوني وطردوني ولكنه ظن بالله خيرا وظن ان الله يخرج من اصلاهم من يعبد الله هذه تعطينا فائدة عظيمة في مقام الدعوة الى الله عز وجل انك لا تنظر الى الحال الذي انت فيه ولا تنظر الى حال من تدعوهم اذا كانوا معرضين مدبرين في فجور وكفر واردة الله عز وجل. ولكن انظر الى الجيل الذي يأتي بعد الرسل. لم ينظر الى الجيل الذي هو يخاطب الان وانما ينظر الى جيل

يأتي بعدهم يوحدون الله ويعبدون الله عز وجل وقد حصل ما اراد حتى بلغت دعوته ما بلغ الليل والنهار صلى الله عليه وسلم فساق احد ابي موسى الاشعري الذي فيه تظن ان ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل واديا فرفع الناس اصواتهم يقول لما اقبلنا واشرفنا كبر الناس تكبيرة رفعوا بها اصواتهم. اي رفعوا بها اصواتهم بالتكبير. قال وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم. اربعوا على انفسكم ان ربكم ليس باصم ولا بغائب. وقال في رواية انكم لا تدعون اصما ولا غائب. وذاك الكمال في السنة في باب الدعاء بذكر الله عز وجل ان يخفض الانسان قوله فيه وان يدعو ربه تضرعا وخفية والا يجهر بدعائه وتكبيره فهذا من خلاف سنة النبي صلى الله عليه وسلم فالنبي هنا قال ارجعوا لانفسكم اي لا لا تجهودوا انفسكم برفع الصوت فان ربكم قريب سميع يسمع كل شيء انكم لا تدعون

حتى ترفعوا اصواتكم فيسمع ولا غائبا حتى تخبرونه بمجيئكم وانما تدعون سميعة بصيرا يراكم سبحانه وتعالى. ثم ذكر ايضا بذلك اه هذه الاحاديث الدالة على على سمع الله عز وجل وعلى رؤيته. ثم رد على الجهمية القائلين بان الله المنزه للعين لان من انه اثبت ان الله له عين ولا يلزم من اثبات عين الله عز وجل التشابه بينه وبين خلقه. وذكر لذلك مثلا ان مخلوقة قد يقال له عيب الانس له اعين والجن لهم اعين لهم اعين والحشى والحيوانات لها اعين والحشرات لها اعين والوحوش لها اعين والطيور كذلك وكل مخلوق مع انهم يتفقون في كونهم مخلوقين في كونهم مخلوقات لله عز وجل الا ان اعينهم تتباين فاذا كان المخلوق عينه تتباين تبين عين المخلوق الاخر

فكيف بالله عز وجل؟ لا شك ان الفرق والبول اعظم. اذا كان المخلوق يثبت له عين والاخر يثبت له عينه كلاهما يطلق عليه اسم العين وهما يختلفان ويتغايران فكذلك لا يلزم من اثبات عين الله عز وجل ان تكون عينه كعين المخلوقين لان الله يقول ليس كمثل شيء وهو السميع وهو البصير. وذكر بذلك ان لو ان هناك رجل اعين اكحل ادعج العينين جميل العينين شبه برجل عينه قد تساقط اشفاره وقد آآ وقد صغير العينين وعينه ذميمة دميمة لانكر الناس على هذا الذي شبه هذا بهذا. فكيف يشبه الذي كمل في جلاله وجماله وآآ كبريائه وعظمته يشبه الاعين البالية الفانية التي هي ليست بشيء بالنسبة لربنا سبحانه وتعالى واهل السنة يثبتون ما اثبتته الله لنفسه ويسكتون عن كيفية تلك الصفات ويقول لا نعلم بكيفيةها ونكل علمها الى الله عز وجل خلاصة هذا الباب ان اهل السنة يثبتون السمع والبصر لله عز وجل ويثبتون ان الله يسمع كما يليق بجلاله ويبصر كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى والله تعالى واحكم وصلى الله وسلم نبينا محمد